التَّعْقِيبُ المصْدَرِيّ فِي القُرْآنِ الكَرِيم

(الجزء الثاني)

د. وائل عبد الامير خليل الحربي

كلية الاداب – جامعة بابل

دلالة التعقيب المصدري بين النصب والرفع في ضوء القراءات القرآنية:

تَذْكرُ كتب القراءات القرآنية والتفسير أن بعض المصادر –موضوع البحث –قرئت بالرفع، ولعل من أقدم الإشارات إلى ذلك ما ورد عند سيبويه، قال: ((وقد يجوز الرفعُ فيما ذكرنا أجمعَ على أن يضمِرَ شيئاً هو المظهَرُ، كأنَّك قلت: ذاك وعدُ الله، وصبغةُ الله، أو هو دَعْوةُ الحقّ. على هذا ونحوِه رفعُه. ومن ذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۚ بَلَٰغٌ﴾[سورة الاحقاف: ٣٥]، كأنه قال: ذاك بَلاغٌ))[(١)]. ويبدو أن النحاة يلمسون في المصدر المنصوب دلالة الأمر قال سيبويه عن قول العرب: صبر جميل: ((والنصبُ أكثر وأجود؛ لأنه يأمره. ومَثَلُ الرفع ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ [سورة يوسف: ١٨]، كأنه يقول: الأمرُ صبرٌ جميلٌ.والذي يُرْفَعُ عليه حَنانٌ وصبرٌ وما أشبه ذلك لا يُستعمل إظهارُه، وتركُ إظهاره كتركِ إظهارِ ما يُنْصَبُ فيه))[(٢)]. وقال ابن الأثير عن قوله تعالى: ((ومِنْ حَذْفِ الفعل باب يسمى «باب إقامة المصدر مقام الفعل». وإنما يفعل ذلك لضرب من المبالغة والتوكيد، كقوله تعالى:

(١) الكتاب ١/ ٣٨٢.

(٢) الكتاب ١/ ٣٢١.

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ ﴾، قوله: ﴿ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ ﴾، أصله: فاضربوا الرقاب ضربا، فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه، وفي ذلك اختصار، مع إعطاء معنى التوكيد المصدري))[٣].

ونريد هنا أن نقف على ماذكره النحاة من دلالات نحوية في تعليل هذه القراءات، وهل اختلفت دلالتها عنها في حالة النصب. ولاشك في ان من أهم الإشارات التي تفسر الفرق في الدلالة بين الرفع والنصب ما ورد عند ابن عطية: ((وقوله تعالى: فَاتِّبَاعٌ رفع على خبر ابتداء مضمر تقديره فالواجب والحكم اتباع، وهذا سبيل الواجبات كقوله تعالى﴿ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٩]، وأما المندوب إليه فيأتي منصوبا كقوله تعالى: ﴿ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ [سورة محمد: ٤]، وهذه الآية حض من الله تعالى على حسن الاقتضاء من الطالب وحسن القضاء من المؤدي، وقرأ ابن أبي عبلة «فاتباعا» بالنصب))[٤]. وقال أبو حيان معلقا على هذه الفكرة في تفسيره قوله تعالى: ﴿ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴾ [سورة الذاريات ٢٥]: ((وَنَصْبُ سَلَامًا يَدُلُّ عَلَى التَّجَدُّدِ، وَرَفْعُ سَلَامٌ يَدُلُّ على الثبوت وَالِاسْتِقْرَارِ))[٥]. في حين قال في تفسير قوله تعالى﴿ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٨]: ((قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ بَعْدَ تَقْدِيرِهِ: فَالْحُكْمُ أَوِ الْوَاجِبُ اتِّبَاعٌ، وَهَذَا سَبِيلُ الْوَاجِبَاتِ، كَقَوْلِهِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ وَأَمَّا الْمَنْدُوبُ إِلَيْهِ فَيَأْتِي مَنْصُوبًا كَقَوْلِهِ: فَضَرْبَ الرِّقَابِ انْتَهَى. وَلَا أَدْرِي هَذِهِ التَّفْرِقَةَ بَيْنَ الْوَاجِبِ وَالْمَنْدُوبِ إِلَّا مَا ذَكَرُوا مِنْ أَنَّ الْجُمْلَةَ الِابْتِدَائِيَّةَ أَثْبَتُ وَآكَدُ مِنَ الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: قالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الَّذِي لَحَظَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ مِنْ هَذَا))[٦]. وقد نقل السيوطي

(٣) المثل السائر الحوفي ٢/ ٢٣٧.

(٤) المحرر الوجيز ١/ ٢٤٦، وينظر:= =المقتضب: ٤/ ١١، و الدر المصون: ٢/ ٢٥٤، واللباب ٣/ ٢٢٥، والكليات: ١/ ١٠١٤.

(٥) البحر المحيط ٦/ ١٧٩ -١٨٠، وينظر: الدر المصون: ٢/ ٢٥٤، واللباب ٣/ ٢٢٥، والتحرير والتنوير ٢٣/ ٤٤.

(٦) البحر المحيط ٢/ ١٥١. وينظر: الدر=

كلام ابن عطية وجمع بين تعليقي أبي حيان في الموضعين؛ قال في القاعدة التي خصصها لدلالة المصدر: ((قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: سَبِيلُ الْوَاجِبَاتِ الْإِتْيَانُ بِالْمَصْدَرِ مَرْفُوعًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٩] ﴿ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾[سورة البقرة: ١٧٨]، وَسَبِيلُ الْمَنْدُوبَاتِ الْإِتْيَانُ بِهِ مَنْصُوبًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ [سورة محمد: ٤] وَلِهَذَا اخْتَلَفُوا هَلْ كَانَتِ الْوَصِيَّةُ لِلزَّوْجَاتِ وَاجِبَةً لِاخْتِلَافِ الْقِرَاءَةِ فِي قوله: ﴿ وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم ﴾[سورة البقرة: ٢٤٠] بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ. قَالَ أَبُو حَيَّانَ: وَالْأَصْلُ فِي هَذِهِ التَّفْرِقَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾[سورة الذاريات: ٢٥] فَإِنَّ الْأَوَّلَ مَنْدُوبٌ وَالثَّانِيَ وَاجِبٌ. وَالنُّكْتَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْجُمْلَةَ الِاسْمِيَّةَ أَثْبَتُ وَآكَدُ مِنَ الْفِعْلِيَّةِ))[٧].

وقال الكفوي عن دلالة الرفع والنصب في المصادر، قال: ((وَالرَّفْع فِي بَاب المصادر الَّتِي أَصْلهَا النِّيَابَة عَن أفعالها يدل على الثُّبُوت والاستقرار بِخِلَاف النصب فَانه يدل على التجدد والحدوث الْمُسْتَفَاد من عَامله الَّذِي هُوَ الْفِعْل فَإِنَّهُ مَوْضُوع للدلالة عَلَيْهِ بِخِلَاف الْجُمْلَة الاسمية فَإِنَّهَا مَوْضُوعَة للدلالة على مُجَرّد الثُّبُوت مُجردا عَن قيد التجدد والحدوث فَنَاسَبَ أَن يقْصد بهَا الدَّوَام والثبات بِقَرِينَة الْمقَام ومعونته))[٨]. كما أشار الطاهر بن عاشور إلى الفرق بين الرفع والنصب ودلالة كل منهما؛ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾ ((وَرَفْعُ الْمَصْدَرِ أَبْلَغُ مِنْ نَصْبِهِ، لِأَنَّ الرّفع فِيهِ تناسي مَعْنَى الْفِعْلِ فَهُوَ أَدَلُّ عَلَى الدَّوَامِ وَالثَّبَاتِ وَلِذَلِكَ خَالَفَ بَيْنَهُمَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام رَدَّ السَّلَامَ بِعِبَارَةٍ أَحْسَنَ مِنْ عِبَارَةِ الرُّسُلِ زِيَادَةً فِي الْإِكْرَامِ))[٩]. وقال في تفسيره

=المصون: ٢/ ٢٥٤، واللباب ٣/ ٢٢٥.

(٧) الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٣٧٩.و وينظر: معترك الإقران ٣/ ٤٩٧، الدر المصون: ٢/ ٢٥٤، واللباب ٣/ ٢٢٥، والكليات: ١/ ١٠١٤

(٨) الكليات: ٨١٤.

(٩) التحرير والتنوير ١٢/ ١١٦. وينظر فيه أيضا: ١٢/ ٢٣٩.

قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾: ((وسَلامٌ مَرْفُوع فِي جَمِيع الْقِرَاءَاتِ الْمَشْهُورَةِ. وَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَتَنْكِيرُهُ لِلتَّعْظِيمِ وَرَفْعُهُ لِلدَّلَالَةِ على الدَّوَام والتحقق، فَإِنَّ أَصْلَهُ النَّصْبُ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ نِيَابَةً عَنِ الْفِعْلِ، ...، فَلَمَّا أُرِيدَتِ الدَّلَالَةُ عَلَى الدَّوَامِ جِيءَ بِهِ مَرْفُوعًا))[10].

١. وأول هذه الآيات ما ورد في قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾[سورة البقرة: ١٣٨]، وقد وجه النحاة قراءة الرفع على أن صبغة خبر لمبتدأ تقديره: هي صبغة، قال الزجاج: ((يجوز أن ترفع الصبغة على إضمار هي، كأنهم قالوا: هي صبغة اللهَّ أي هي ملة إبراهيم صبغة الله))[11]. وذكر السمين الحلبي وجهاً اخر لرفعها وهو البدلية، قال: ((وأمَّا قراءةُ الرفعِ فتحتملُ وَجْهين أحدُهما: أنَّها خبرُ مبتدأ محذوفٍ أي: ذلك الإيمانُ صبغةُ الله. والثاني: أن تكونَ بدلاً مِنْ «مِلَّة» لأنَّ مَنْ رَفَعَ «صِبْغَة» رفع «مِلَّة» كما تقدَّم فتكونَ بدلاً منها كما قيل بذلك في قراءةِ النصبِ))[12]. وهذه المعاني المذكورة متقاربة ففي حال كانت خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: (هي) فان هذا الضمير سيعود إلى كلمة (ملة) وهو يؤدي إلى الوجه الثاني وهو انه بدل من ملة. غير ان القارئ يشعر بفرق بين دلالة النصب ودلالة الرفع؛ ففي الحالة يدل النصب على الحدوث فكأن فيها حثاً على الالتزام بصبغة الله، في حين يدل الرفع على الثبوت وكأنها تقرر حقيقة لا حاجة معها إلى تقدير فعل يدل على التجدد أو الفعل كالحث أو الإلزام المفهومة من دلالة النصب.

٢. ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا

(١٠) التحرير والتنوير ٢٣/ ٤٤.
(١١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٢١٥. وينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٨٣، وجامع البيان٣/ ١١٧.وينظر: المحرر الوجيز: ١/ ٢١٦، والجامع لأحكام القرآن: ٢/ ١٤٤، والدر المصون: ٢/ ١٤٢، و زاد المسير ١/ ١١١٧، وينظر البحر المحيط: ١/ ٦٥٦.
(١٢) الدر المصون: ٢/ ١٤٣ -١٤٤.

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٦٠]، قال الزمخشري: ((فَرِيضَةً مِنَ اللهِ في معنى المصدر المؤكد، لأنّ قوله إنما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم. وقرئ فريضةٌ بالرفع على: تلك فريضة))[١٣]. قال القرطبي: ((قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بِالنَّصْبِ عَلَى الْمَصْدَرِ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ. أَيْ فَرَضَ اللهُ الصَّدَقَاتِ فَرِيضَةً. وَيَجُوزُ الرَّفْعُ عَلَى الْقَطْعِ فِي قَوْلِ الْكِسَائِيِّ، أَيْ هُنَّ فَرِيضَةٌ))[١٤]. ومعنى النصب أنها بمعنى الفعل فهي فرض وطلب وأمر موجه إلى المسلمين بأداء الفريضة، في حين ان الرفع يدل على ان ما سبق من فرائض وحدود هي فريضة من الله.

٣. ومنه في قوله تعالى ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [سورة يونس: ٣-٤]، قال الفراء: ((ولو استؤنف (وعد الله حق) كَانَ صوابًا))[١٥]. وبيّن أبو حيان وجه قراءة الرفع، قال: ((وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عَبْلَةَ: حَقٌّ بِالرَّفْعِ، فَهَذَا ابْتِدَاءٌ وَخَبَرُهُ أَنَّهُ انْتَهَى. وَكَوْنُ حق خبر مبتدأ، وأنه هُوَ الْمُبْتَدَأُ هُوَ الْوَجْهُ فِي الْإِعْرَابِ كَمَا تَقُولُ: صَحِيحٌ أَنَّكَ تَخْرُجُ، لِأَنَّ اسْمَ أَنَّ مَعْرِفَةٌ، وَالَّذِي تَقَدَّمَهَا فِي نَحْوِ هَذَا الْمِثَالِ نَكِرَةٌ))[١٦]. فهي في قراءة النصب تدل على التوكيد لأنها مصدر مؤكد لغيره من معنى مفهوم

(١٣) الكشاف: ٢/ ٢٨٣. وينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٤٤٤، و معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢/ ٤٥٧. وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ١٩٢، أنوار التنزيل: ٣/ ٨٦، والدر المصون: ٦/ ٧٢.

(١٤) الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ١٩٢.

(١٥) معاني القرآن للفراء: ١/ ٤٥٧.وينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢/ ١٤٠، وذكر مكي أنها لم يقرأ بها احد. مشكل إعراب القرآن: ١/ ٣٣٩، و الكشاف: ٢/ ٣٢٩، و الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٣٠٨.

(١٦) البحر المحيط: ٦/ ١٣. وينظر: الدر المصون: ٦/ ١٤٩.

من الكلام. أما قراءة الرفع فتدل على تقرير الوعد المتضمن في الجملة السابقة والتقدير: مرجعكم إلى الله هو وعد حق من الله.

٤. ومثله (وعدا عليه حقا) في قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النحل: ٣٨]، إذ قال الفراء: ((ولو كَانَ رفعًا عَلَى قوله: بَلى ذَلِكَ وعدٌ عَلَيْهِ حقٌّ كَانَ صوابًا))[١٧]. ووجهه النحاس قال: ((وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا مصدر. قال الكسائي والفراء: ولو قيل: وعد عليه حقّ لكان صوابا أي ذلك وعد عليه حقّ))[١٨]. وقال أبو حيان: ((وَقَرَأَ الضَّحَّاكُ: بَلَى وَعْدٌ حَقٌّ، وَالتَّقْدِيرُ: بَعْثُهُمْ وَعْدٌ عَلَيْهِ حَقٌّ، وَحَقٌّ صِفَةٌ لِوَعْدٍ.))[١٩]. فقراءة النصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر من معنى الجملة أي وعدهم الله وعدا، وقراءة الرفع على انه خبر لمبتدأ تقديره: بعثهم وعد حق على الله تعالى. وهاتان الدلالتان تناسبان معنى التوكيد وتقرير الفكرة.

٥. ومنه قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ [سورة مريم: ٣٤]، قال الطبري: ((وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامَّة قرّاء الحجاز والعراق (قَوْلُ الحَقّ) برفع القول،...، وجعلوه في إعرابه تابعًا لعيسى، كالنعت له، وليس الأمر في إعرابه عندي على ما قاله الذين زعموا أنه رفع على النعت لعيسى، ...، وإلا فرفعه عندي بمضمر، وهو هذا قول الحقّ على الابتداء، ...، وقد قرأ ذلك عاصم بن أبي النجود وعبد الله بن عامر بالنصب، وكأنهما أرادا بذلك المصدر: ذلك عيسى ابن مريم قولا حقا، ثم أدخلت فيه الألف واللام))[٢٠]. وقال الزجاج في توجيه القراءتين: ((بالرفع، ويجوز (قَوْلَ

(١٧) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٠٠.
(١٨) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٥٠.
(١٩) البحر المحيط ٦/ ٥٢٩. وينظر: الدر المصون ٧/ ٢١٩.
(٢٠) جامع البيان ت شاكر ١٨/ ١٩٤.

الْحَقِّ) بالنصب، فمن رفع فالمعنى هو قول الحق ومن نصب فالمعنى أقول قولَ الحق الذي فيه يمترون أي يشكون))[٢١]. وقد بيّن أبو حيان أن قراءة النصب وقراءة الرفع تتفقان في الدلالة، فالنصب يدل على ان قول مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله التي تتضمن الإخبار بان عيسى ابن مريم ثابت النسب إليها وليس منسوبا لغيرها، وقد تفيد هذه القراءة المدح، والرفع يدل على أَن نِسْبَتَهُ إِلَى أُمِّهِ فقط؛((فَتَتَّفِقُ إِذْ ذَاكَ قِرَاءَةُ النَّصْبِ وَقِرَاءَةُ الرَّفْعِ فِي الْمَعْنَى))[٢٢]. وقال الطاهر بن عاشور((وقَوْلَ الْحَقِّ قَرَأَهُ الْجُمْهُورُ بِالرَّفْعِ، وَقَرَأَهُ ابْنُ عَامِرٍ، وَعَاصِمٌ، وَيَعْقُوبُ بِالنَّصْبِ فَأَمَّا الرَّفْعُ فَهُوَ خَبَرٌ ثَانٍ عَنِ اسْمِ الْإِشَارَةِ أَوْ وَصْفٌ لِعِيسَى أَوْ بَدَلٌ مِنْهُ، وَأَمَّا النَّصْبُ فَهُوَ حَالٌ مِنِ اسْمِ الْإِشَارَةِ أَوْ مِنْ عِيسَى. وَمَعْنَى قَوْلَ الْحَقِّ أَنَّ تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي سَمِعْتُمْ هِيَ قَوْلُ الْحَقِّ، أَيْ مَقُولٌ هُوَ الْحَقُّ وَمَا خَالَفَهَا بَاطِلٌ، أَوْ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ قَوْلُ الْحَقِّ، أَيْ مَقُولُ الْحَقِّ، أَيِ الْمُكَوَّنُ مِنْ قَوْلِ (كُنْ)، فَيَكُونُ مَصْدَرًا بِمَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ كَالْخَلْقِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ [سورة لُقْمَان: ١١]))[٢٣]. فقراءة النصب فيها معنى المدح والتوكيد فبعد ان ذكر الله تعالى قصة ميلاد عيسى عليه السلام قال سبحانه ان المخبر والمتحدث عنه هو عيسى عليه السلام ثم مدحه أو وصف حاله بقوله: قول الحق، أي ان ذلك المتحدث عنه هو عيسى بن مريم الممدوح بكونه قول الحق الذي فيه يمترون. وفي قراءة الرفع يكون قول الحق خبرا ثانيا لاسم الإشارة فيكون المعنى ذلك المخبر عنه عيسى ابن

(٢١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٢٩. وينظر: الكشاف: ٣/ ١٦، والمحرر الوجيز ٤/ ١٥، و أنوار التنزيل ٤/ ١٠، وينظر الدر المصون: ٧/ ٥٩٨، واللباب في علوم الكتاب ١٣/ ٦٢ -٦٣.

(٢٢) البحر المحيط ٧/ ٢٦٠.

(٢٣) التحرير والتنوير ١٦/ ١٠٢.

مريم هو قول الحق[٢٤]. وهما قراءتان متآزرتان في تحقيق الفكرة التي يريد النص الإخبار عنها.

٦. ومنه (خالصة) في قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فقد قال الفراء: ((ولو رفعت (خالصة) لك عَلَى الاستئناف كَانَ صوابًا كما قَالَ ﴿لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭ بَلَٰغٞ﴾ أي: هَذَا بلاغ))[٢٥]. وفرّق أبو حيان بيْن القراءتين: ((فقراءة النَّصْبِ عَلَى الْحَالِ، ...: أَيْ أَحْلَلْنَاهَا خَالِصَةً لَكَ، وَالرَّفْعُ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ: أَيْ هِيَ خَالِصَةٌ لَكَ، أَيْ هِبَةُ النِّسَاءِ أَنْفُسَهُنَّ مُخْتَصٌّ بِكَ، لَا يَجُوزُ أَنْ تَهَبَ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا لِغَيْرِكَ))[٢٦]. وقراءة النصب فيها دلالة الحدوث واضحة وهي تفيد التوكيد، والوصفية عن طريق الحال، في حين تفيد دلالة الرفع الثبوت من غير اقتران بفعل الاستنكاح المذكور على تقدير مبتدأ: وهي خالصة لك. ويمكن القول -بعدُ -ان الرفع في حقيقته عدول من النصب الذي يمثل الأمر والطلب إلى الرفع الذي يمثل الإخبار، وكان الطلب سورع في تنفيذه فصار في عداد الخبر، فالمصدر المرفوع، إذاً، أقوى في التأكيد من المصدر المنصوب؛ لأن المنصوب طلب سيتم تنفيذه، أما المرفوع فهو خبر عن طلب تم تنفيذه واخبر عن هذا التنفيذ فصار حقيقة مفروغا منها.

السياقات الدلالية للمصادر المعقَّب بها:

أ. التعقيب المصدري بين المدح والذم:

وزع مجيء المصادر المعقب بها في سياقين غالبا هما توكيد المدح، وقد كان ما جاء من تعقيب في هذا السياق أكثر

(٢٤) ينظر: الفروق الدلالية بين القراءات القرآنية العشر، رانية محفوظ الورفلي: ٤١٠.

(٢٥) معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٤٥ -٣٤٦. وينظر: الكشاف: ٣/ ٥٥١.

(٢٦) البحر المحيط: ٨/ ٤٩٣. وينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٢٣٢، و الدر المصون: ٩/ ١٣، و اللباب في علوم= =الكتاب ١٥/ ٥٧٠، و إرشاد العقل السليم ٧/ ١١٠.

شيوعا مما ورد في سياق الذم وكثيرا ما كان مضافا إلى لفظ الجلالة الله تعالى أو إلى الحق أو القوة، مثل إضافة مصدر صنع إلى لفظ الجلالة (الله) في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[سورة النمل: ٨٨]، ولاشك في ان اختيار هذا المصدر جاء في غاية الفصاحة؛ ذلك ان السياق سياق مدح وتعظيم لله تعالى فناسبه استعمال هذه الكلمة، ولاسيما إذا علمنا ان الصُّنْعُ هو: إجادةُ الفعل، وان كلّ صُنْعٍ فِعْلٌ، وليس كلّ فعل صُنْعاً، ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل[٢٧]. وقد جاء هذا الاستعمال في سياق تَمْجِيد النِّظَام الْعَجِيب الذي خلقه الله تعالى إِذْ تَتَحَرَّكُ الْأَجْسَامُ الْعَظِيمَةُ مَسَافَاتٍ شَاسِعَةً وَالنَّاسُ يَحْسَبُونَهَا قَارَّةً ثَابِتَةً وَهِيَ تَتَحَرَّكُ بِهِمْ وَلَا يَشْعُرُونَ. وَوَصْفُ اللهَّ بِالَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ تَعْمِيمٌ يراد بِهِ التذييل، أَيْ مَا هَذَا الصُّنْعُ الْعَجِيبُ إِلَّا مُمَاثِلًا لِأَمْثَالِهِ مِنَ الصَّنَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ الدَّقِيقَةِ الصُّنْعِ. وقد أكد هذا التعقيب وثبته بجُمْلَة إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ التي تؤلف تَذْيِيلا أَوِ اعْتِرَاضا فِي آخِرِ الْكَلَامِ لِلتَّذْكِيرِ وَالْوَعْظِ وَالتَّحْذِيرِ، وإنما جاء بذلك عَقِبَ قَوْلِهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ لِأَنَّ إِتْقَانَ الصُّنْعِ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ سَعَةِ الْعِلْمِ فَالَّذِي بِعِلْمِهِ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ هُوَ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُ الْخَلْقُ فجاء به تحذيرا عن مخالفة أمره[٢٨]. وقد أشار الزمخشري إلى انه تعالى وسم هذا المصدر هنا بسمة التعظيم بإضافته إليه[٢٩]. ومثل ذلك نجده في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الروم: ٤ -٦]، فالآية الكريمة وعْدٌ من الله سبحانه بالنصر وَوَعْدُ اللهَّ لَا خُلْفَ فِيهِ[٣٠]، لامتناع الكذب عليه تعالى. وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ وعده ولا

(٢٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٤٩٣.

(٢٨) ينظر: التحرير والتنوير ٢٠/ ٥١.
(٢٩) ينظر: الكشاف ٣/ ٣٨٨.
(٣٠) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٥/ ٨١، وأنوار التنزيل ٤/ ٢٠٢.

صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم[٣١].

((وإِضَافَةُ الْوَعْدِ إِلَى اللهِ تَلْوِيحٌ بِأَنَّهُ وَعْدٌ مُحَقَّقُ الْإِيفَاءَ لِأَنَّ وَعْدَ الصَّادِقِ الْقَادِرِ الْغَنِيِّ لَا مُوجِبَ لِإِخْلَافِهِ. وَجُمْلَةُ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ بَيَانٌ لِلْمَقْصُودِ مِنْ جُمْلَةِ وَعْدَ اللهِ فَإِنَّهَا دَلَّتْ عَلَى أَنَّهُ وَعْدٌ مُحَقَّقٌ بِطَرِيقِ التَّلْوِيحِ، فَبَيَّنَ ذَلِكَ بِالصَّرِيحِ بِجُمْلَةِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ))[٣٢]. وقد يأتي بعد المصدر المعقب به جار ومجرور متعلق به يخصصه ويحدد فضاءه فيدل على المدح مثل: (رب رحيم) أو (من عند الله) أو(فريضة من الله) أو (من لدنا)، كما في قوله تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾[سورة آل عمران: ١٩٨]، والآية بيان عن أن ما عِنْدَ اللهِ لكثرته ودوامه خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله[٣٣]. وقد وصف هذا النزل بأنه من عند الله[٣٤].

(٣١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/ ٢٠٢.
(٣٢) التحرير والتنوير ٢١/ ٤٨.
(٣٣) ينظر: أنوار التنزيل ٢/ ٥٦.
(٣٤) ينظر: مدارك التنزيل ١/ ٣٢٤.

وَقَدْ وَعَدَهُمْ هَذَا الْجَزَاءَ عَلَى التَّقْوَى، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى أَنَّ النَّعِيمَ الرُّوحَانِيَّ يَكُونُ بِمَحْضِ الْفَضْلِ، وَالْإِحْسَانِ لِلْأَبْرَارِ، فَقَالَ: وَمَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْكَرَامَةِ الزَّائِدَةِ عَلَى هَذَا النُّزُلِ الَّذِي هُوَ بَعْضُ مَا عِنْدَهُ[٣٥].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾، فإضافة الثواب إلى الله تعالى للدلالة على انه ثواب خاص لان مصدره الله تعالى الذي يختص بقدرته وفضله[٣٦]، قال ابن عادل: ((وقوله: ﴿ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ صفةٌ له، وهذا يدل على كون ذلك الثَّوابِ في غايةِ الشرف))[٣٧]. وقد أضاف الثواب إليه تعالى ليدل على أنه عظيم، لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جزيلا كثيرا[٣٨]. ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ

(٣٥) ينظر: تفسير المنار ٤/ ٢٥٧.
(٣٦) ينظر: الكشاف ١/ ٤٥٧.
(٣٧) اللباب في علوم الكتاب ٦/ ١٢٩. وينظر: إرشاد العقل السليم ٢/ ١٣٤.
(٣٨) ينظر: تفسير المنار ٤/ ٢٥٣.

كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[سورة القصص: ٥٧]، قال الطاهر بن عاشور: ((وَمَعْنَى مِنْ لَدُنَّا مِنْ عِنْدِنَا، وَالْعِنْدِيَّةُ مَجَازٌ فِي التَّكْرِيمِ وَالْبَرَكَةِ، أَيْ رِزْقًا قَدَّرْنَاهُ لَهُمْ إِكْرَامًا فَكَأَنَّهُ رِزْقٌ خَاصٌّ مِنْ مَكَانٍ شَدِيدِ الِاخْتِصَاصِ بِاللَّهِ تَعَالَى))[٣٩]. وقد يأتي المصدر المعقَّب به منوناً غيرَ مضاف، غير أن المتلقي يشعر ان فيه رائحة الإضافة إليه سبحانه وتعالى، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[سورة الاحقاف: ١٣-١٤]، فالجزاء إنما يكون منه سبحانه. وقد وظّف النص الكريم التنوين للدلالة على التعظيم والتفخيم، كما في قوله تعالى: ﴿ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾، قال أبو السعود عن تنوين كلمة وصية: ((وتنوينُه للتفخيم ومن متعلقةٌ بمضمر وقع صفةً له مؤكدةً لفخامته))[٤٠]. وهذا ينطبق على تنوين (فريضة من الله) في قوله تعالى: ﴿ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[سورة النساء: ١١] أيضا؛ لان السياق واحد فيها وهو التشريع ووضع الأحكام التي تنظم حياة الأسرة[٤١]. فاستعمالها جاء مناسبا لسياق التقرير ووجوب الطاعة الذي يتطلبه النص الكريم[٤٢].

في حين أفاد بعضها الآخر دلالة المبالغة في توكيد الذم وهو أقل من النوع الأول ومنه قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴾[سورة النازعات: ٢٤-٢٥]؛ وقد ناسب استعمال المصدر هنا لتوكيد دلالة التحقير الموجه إلى فرعون وإذلاله وإهانته، لأن معنى أخذه اللهَّ نَكَّلَ بِهِ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى وذلك بان أغرقه في الدنيا

(٣٩) التحرير والتنوير ٢٠/ ١٤٩.

(٤٠) إرشاد العقل السليم ٢/ ١٥٣.

(٤١) ينظر: الكشاف ١/ ٤٨٦.

(٤٢) ينظر: الكشاف ١/ ٤٨٤، و مفاتيح الغيب ٩/ ٥١٩.

وسيعذبه في الآخرة[٤٣]. و(النكال) اسم لمن جعل نكالا لغيره، وَهُوَ الَّذِي إِذَا رَآهُ أَوْ بَلَغَهُ خَافَ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلَهُ، وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ مِنَ الِامْتِنَاعِ، وَقِيلَ لِلْقَيْدِ نِكْلٌ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ، والنَّكَالُ مِنَ الْعُقُوبَةِ هُوَ أَعْظَمُهَا حَتَّى يَمْتَنِعَ مَنْ سَمِعَ بِهِ عَنِ ارْتِكَابِ مِثْلِ ذَلِكَ الذَّنْبِ الَّذِي وَقَعَ التَّنْكِيلُ بِهِ[٤٤]. ومنه قوله سبحانه: ﴿ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾، فقد جاء التعقيب بالمصدر(غرورا) هنا مناسبا غاية المناسبة لمعنى الذم الذي ترسمه الآية الكريمة لفعل الجن؛ إذ يوحي بعضهم إلى بعض الكذب من القول غرورا، أي خداعا وأخذاً على غرّة، لأنهم يغرون به المضلّلين ويوهمونهم أنهم على شيء والأمر بخلاف ذلك[٤٥]. فالْغُرُورَ هُوَ الَّذِي يَعْتَقِدُ فِي الشَّيْءِ انه مُطَابِق لِلْمَنْفَعَةِ وَالْمَصْلَحَةِ مَعَ أَنَّهُ فِي نَفْسِهِ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَالْغُرُورُ هو امَّا أَنْ يَكُونَ عِبَارَةً عَنْ الْجَهْلِ عَيْنِه أَوْ عَنْ حَالَةٍ مُتَوَلِّدَةٍ عَنْه، ومن ثم يظهر أَنَّ تَأْثِيرَ الْأَرْوَاحِ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْهُ بِعِبَارَةٍ أَكْمَلَ وَلَا أَقْوَى دَلَالَةً عَلَى تَمَامِ الْمَقْصُودِ مِنْ قَوْلِهِ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً[٤٦]. كما ورد المصدر المعقب به مستعملا في سياق تقرير فكرة من غير الدخول في مجالي المدح أو الذم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾، فالسياق الذي ورد فيه المصدر لايفيد مدحا ولا ذما، وإنما هو سياق تقرير فكرة مؤداها: ان كل نفس لا تموت إلا بإذن الله تعالى، فجيء بالمصدر تعقيبا على هذه الحقيقة ليؤكدها ويثبت أن الموت كتاب مؤجل، أي مؤقت له أجل معلوم لَا يَقْدِرُ

(٤٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/ ٢٨٠. وينظر: المفردات في غريب القرآن: ٨٢٤.

(٤٤) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣١/ ٤٢، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٠٣.ويقابل بـ: حاشية الشهاب: عناية القاضي ٨/ ٣١٥، والتحرير والتنوير ٣٠/ ٨١.

(٤٥) ينظر: الكشاف ٢/ ٥٩، و المحرر الوجيز ٢/ ٣٣٦.

(٤٦) ينظر: مفاتيح الغيب ١٣/ ١٢١.

أَحَدٌ على تقديمه أو تأخيره[٤٧].

ب. التعقيب المصدري بين الوصف (القصص القرآني أو الحياة الدنيا أو الآخرة) والحكم الشرعي.

وتوزعت المصادر المعقَّب بها بين ما جاء في سياق الوصف، سواء أكان يدور في القصص القرآني أو وصف الحياة الدنيا أو الآخرة، وما ورد منه في سياق توكيد التشريع الذي يتضمنه النص. ومن النوع الأول(الوصف) ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾، فسياق الآية الكريمة هو الوصف لا التشريع، وقد اختلف المفسرون في شأن ما تصفه الآية الكريمة أهو دنيوي؛ إذ استشهد النص على الناس بما يغشى أبصارهم فيحسبون الجبال واقفة لا تتحرك ولكنه صنع الله الذي أتقن كل شيء وهي في الحقيقة تمر مرور السحاب مسرعة، أم أنه في سياق الآخرة لوقوع الآية بين آيات الساعة التي تتكلم عن الآخرة[٤٨]. ومنه قوله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ فالآية الكريمة تصوّر لنا أن سنة الله هي الغالبة؛ إذ ينتصر أنبياؤه على أعدائه وهي تتمثل في إِرْسَالِ الرُّسُلِ وَالْإِعْزَازِ بِهِمْ، وَتَعْذِيبِ مَنْ كَذَّبَهُمْ وَاسْتِهَانَتِهِمْ وَاسْتِئْصَالِهِمْ بِالْهَلَاكِ، وَعَدَمِ الِانْتِفَاعِ بِالْإِيمَانِ حَالَةَ تَلَبُّسِ الْعَذَابِ بِهِمْ، وقيل إن سنته إشارة نصر المسلمين في وقعة بدر[٤٩].

ومن النوع الثاني الذي جاءت المصادر لتؤكد التشريع الذي يتضمنه النص الكريم، ما ورد في قوله سبحانه: ﴿ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

(٤٧) ينظر: تفسير البغوي ١/ ٥١٨، والكشاف ١/ ٤٢٤، ومفاتيح الغيب ٩/ ٣٧٩، والتحرير والتنوير ٤/ ١١٥.

(٤٨) ينظر: التحرير والتنوير ٢٠/ ٤٧.

(٤٩) ينظر: الكشاف ٤/ ٣٤١، والمحرر الوجيز٥/ ١٣٥، ومفاتيح الغيب ٢٨/ ٨١، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٨٠، والبحر المحيط ٩/ ٢٧٨.

عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾، فالآية الكريمة تشرع للناس ما يخص المواريث وتبيّن أنه العليم والحكيم بما هو أصلح لهم. قال الفخر الرازي: ((فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إِشَارَةٌ إِلَى وُجُوبِ الِانْقِيَادِ لِهَذِهِ الْقِسْمَةِ الَّتِي قَدَّرَهَا الشَّرْعُ وَقَضَى بِهَا))[٥٠]. ومنه قوله سبحانه: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾، فالآية تبيّن ضوابط توزيع الميراث، فللذكور من أولاد الرجل الميِّت حصة من ميراثه، وللإناث منهم حصة منه أيضاً، من قليل ما خلَّف بعده وكثيره، حصة مفروضة، واجبة معلومة مؤقتة[٥١]. فمَعْنَى كَوْنِهِ مَفْرُوضًا أَنَّهُ نصيب مُعَيَّنٌ الْمِقْدَارِ لِكُلِّ صِنْفٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَهَذَا أَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهَذِهِ الْآيَةِ تشريع الْمَوَارِيث[٥٢]. ومن هنا يكون مجيء المصدر نصيباً موظفاً ليؤكّد ذلك ويقرره، قال الزجاج في معنى: (نصيبا مفروضا) في الآية الكريمة: ((وهذا كلام مؤكِّد))[٥٣]. وفيه دليلٌ على أنَّ الوارثَ لو أعرض عن نصيبه لم يسقُطْ حقُّه[٥٤].

التعقيب بمصدرين في جملة واحدة:

وفي إطار البحث في أثر التعقيب المصدري في الدلالة، لابد من الوقوف، هنا، على المصدرين (وعد الله حقًا) و(وعدًا عليه حقًا) اللذين تكررا في مواضع مختلفة، من اجل الكشف عن سبب استعمالهما معاً ودلالة هذا الاقتران؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [سورة النساء: ١٢٢] ويبدو من

(٥٠) مفاتيح الغيب ٩/ ٥١٩، وينظر: الكشاف ١/ ٤٨٤، وزاد المسير ١/ ٣٧٩.
(٥١) ينظر: جامع البيان ٧/ ٥٩٧ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ١٥، وتفسير البغوي ١/ ٥٧٢، و الكشاف ١/ ٤٧٦، و مفاتيح الغيب ٥/ ٢٣١، و الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٤٧، و أنوار التنزيل ٢/ ٦١، و مدارك التنزيل ١/ ٣٣٣، و البحر المحيط ٣/ ٥٢٥، وروح المعاني ٢/ ٤٢١، وإرشاد العقل السليم ٢/ ١٤٧، والتحرير والتنوير ٤/ ٢٥٠.
(٥٢) ينظر: التحرير والتنوير ٤/ ٢٥٠.
(٥٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ١٥، وينظر: إرشاد العقل السليم ٢/ ١٤٧.
(٥٤) إرشاد العقل السليم ٢/ ١٤٧.

الآية الكريمة أن ذلك يعود إلى أن هذين المصدرين يؤديان دلالتين متآزرتين ومتضافرتين، فهما يؤكدان ان وعد الله بإدخال الصالحين الجنة حق، وهو ليس كوعد الشيطان، لذلك جاء بهما معا تثبيتا لهذه الفكرة والمبالغة في توكيدها ترغيباً للعباد في تحصيل الصالحات وترك السيئات؛ إذ إن احدهما يؤكد نفسه في حين أن الآخر يؤكد غيره؛ قال الزمخشري: ((وَعْدَ اللهِ حَقًّا مصدران: الأول مؤكد لنفسه، والثاني مؤكد لغيره وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا توكيد ثالث بليغ. فإن قلت: ما فائدة هذه التوكيدات؟. قلت: معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد اللهِ الصادق لأوليائه، ترغيباً للعباد في إيثار ما يستحقون به تنجز وعد اللهِ، على ما يتجرعون في عاقبته غصص إخلاف مواعيد الشيطان))[٥٥]. فاستعمال المصدر الأول لِبَيَانِ ان وَعْده تعالى لَازِمٌ لَا يَتَخَلَّفُ[٥٦]، أما المصدر الثاني(حَقا)، فهو في الأَصْل مَصْدَرٌ، وَلكنه اسْتُعْمِلَ هنا اسْتِعْمَالَ الْأَسْمَاءِ لِلشَّيْءِ الثَّابِتِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَيُطْلَقُ كَثِيرًا، عَلَى الْكَامِلِ فِي نَوْعِهِ[٥٧]. وقال أبو السعود موضحا معنى التوكيد المستفاد من المصدر الذي يؤكد معنى الجملة السابقة، قال: ((﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ مصدرانِ مؤكِّدانِ الأول لنفسه والثَّاني لغيرِهِ لأنَّ قولَه تعالَى لهم جنَّاتُ النَّعيمِ في معنى وعَدَهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنَّاتِ النَّعيمِ (وَهُوَ العزيز) الذي لا يغلبه شيء ليمنعه من إنجازِ وعدِه أو تحقيقِ وعيدِه))[٥٨]. ووضّح الطاهر بن عاشور هذا الأمر، قال: ((وَانْتَصَبَ وَعْدَ اللهِ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ تَوْكِيدًا لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ الْمُسَاوِيَةِ لَهُ، وَيُسمى موكّدا لِنَفْسِهِ فِي اصْطِلَاحِ

(٥٥) الكشاف ١/ ٥٦٧، وينظر: مفاتيح الغيب ١١/ ٢٢٥، و أنوار التنزيل ٢/ ٩٩، والتحرير والتنوير ٥/ ٢٠٧.

(٥٦) ينظر: التحرير والتنوير ١٤/ ١٥٥.

(٥٧) ينظر: نفسه ٩/ ٢٦١.

(٥٨) إرشاد العقل السليم ٧/ ٧٠.

النُّحَاةِ لِأَنَّ مَضْمُونَ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ الْوَعْدُ بِإِرْجَاعِهِمْ إليه وَهُوَ مُفَادُ وَعْدِ اللَّهِ، وَيُقَدَّرُ لَهُ عَامِلٌ مَحْذُوفٌ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ الْمُؤَكِّدَةَ لَا تَصْلُحُ لِلْعَمَلِ فِيهِ.وَالتَّقْدِيرُ: وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَعْدًا حَقًّا. وَانْتُصِبَ حَقًّا عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ الْمُؤَكِّدَةِ لِمَضْمُونِ جُمْلَةِ وَعْدَ اللَّهِ بِاعْتِبَارِ الْفِعْلِ الْمَحْذُوفِ. وَيُسَمَّى فِي اصْطِلَاحِ النُّحَاةِ مُؤَكِّدًا لِغَيْرِهِ، أَيْ مُؤَكِّدًا لِأَحَدِ مَعْنَيَيْنِ تَحْتَمِلُهُمَا الْجُمْلَةُ الْمُؤَكَّدَةُ))[٥٩].

الخاتمة والنتائج:

وفي الخاتمة فقد كشف البحث عن مجموعة من النتائج؛ أهمها التعريف بظاهرة التعقيب المصدري أو التعقيب بالمصدر في القرآن الكريم، وهي ظاهرة لغوية أسلوبية امتاز بها النص القرآني الكريم لم يسبق للباحثين دراستها والكشف عن ملامحها، والتعقيب هو الإتيان بالمصدر بعد الكلام لغرض توكيده وتثبيته، وهذه الظاهرة تعتمد على المصدر المؤكد لمضمون الجملة السابقة؛ لأن هذا المصدر يناسب الغرض من توكيد الكلام من غير إعادته لفظيًا، فالتعقيب المصدري هو المجيء بمصدر يردف معنى الجملة السابقة ويقويه أو يجمله؛ فلا يدخل الشك إلى ذهن المتلقي وإنما يُقْبِلُ على الكلام بالقبول والموافقة؛ فهو شاهد على صدق الكلام السابق، والتعقيب المصدري بالمعنى المذكور مصطلح قال به المفسرون ولم يقل به النحويون. وقد اتضح من البحث أنَّ اعتماد النص الكريم المصدر طريقًا للتعقيب جاء بناء على ما يمتاز به المصدر من الصيغ الصرفية الأخرى، ومن ثم فقد أضفى استعمال المصدر مرونة تعبيرية على النص لأنه أدى إلى دلالات صرفية مختلفة اكتسبتها من خلال السياق، وهذا أسهم في خلق معان فنية وجمالية، انبثقت من خصائص الكلمة الصرفية للمصدر وعلاقتها بالكلمات الأخرى في الجملة. كما أنَّ التعقيب بالمصدر أغنى النص الكريم بالدلالات النحوية فقد جاء عدد من هذه المصادر محتملا لأوجه نحوية مختلفة تصب في إغناء

(٥٩) التحرير والتنوير ١١/ ٩٠-٩١.

النص بالدلالات والمعاني؛ مما يؤكد أنَّ القرآن الكريم نص معجز بلغ الغاية في البلاغة. ولما كان بعض المصادر المعقب بها قد قرئ بالرفع كما قرئ بالنصب فقد كشف البحث عن القيمة الدلالية للحالة الإعرابية لتلك المصادر بين الرفع والنصب؛ في ضوء ما قدمه العلماء من دلالة الأول على الثبوت ودلالة الثاني على الحدوث والتجدد. وقد توزعت المصادر المعقب بها بين سياقات المدح تارة عن طريق الإضافة إلى لفظ الجلالة أو تعليقه به بحرف جر، مثل: (صنع الله) (قولا من رب رحيم) أو(ثوابا من عند الله) أو(فريضة من الله) أو(رزقا من لدنا)، والذم تارة أخرى، وهو أقل ورودا من سابقه مثل: (نكال الآخرة والأولى). وقد ورد التعقيب في بعض المواضع بمصدرين أحيانا، هما: (وعدا وحقا)، واستنتج البحث، من قراءة الآيات التي احتوت التعقيب بمصدرين، أن ذلك يعود إلى أن هذين المصدرين يؤديان دلالتين متآزرتين ومتضافرتين في تلك النصوص الكريمة.

اهم مصادر البحث ومراجعه

- اتساع الدلالة في الخطاب القرآني، د. محمد نور الدين المنجد، دار الفكر -دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة: ١٩٤٧ م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم -تفسير أبي السعود، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، د.ط، د.ت.
- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: دراسة نظرية تطبيقية، د. عبد الحميد احمد هنداوي، عالم الكتب الحديث ودار جدارا -الأردن، ط١، ٢٠٠٨ م.
- إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس، عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

- إعراب القرآن المنسوب خطأ للزجاج، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري -القاهرة ودار الكتب اللبنانية -بيروت، الطبعة الرابعة -١٤٢٠ هـ.
- الإكسير في علم التفسير، ، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات، كمال الدين الانباري، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ -٢٠٠٣م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل-تفسير البيضاوي، ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة الأولى -١٤١٨ هـ.
- البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة ١٤٢٠هـ.
- بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي -بيروت، د. ط، د. ت.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه -مصر.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ .
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين المناوي القاهري، عالم الكتب، عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة

الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- جامع الدروس العربية، الشيخ: مصطفى المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة الثامنة والعشرون، ١٤١٤ هـ -١٩٩٣م.
- الجامع لأحكام القرآن -تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية -القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٤٨ -١٩٦٤م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر، الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة- دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر -بيروت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الالوسي تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن مالك (ت٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.
- شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي (ت٦٨٦هـ)، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٧.

- شرح المفصل للزمخشري، بن يعيش الموصلي، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية، أحمد بن فارس، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.
- الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمر، الزمخشري تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - لبنان، الطبعة الثانية، د.ت.
- الفروق الدلالية بين القراءات القرآنية العشر، رانية محفوظ الورفلي، منشورات جامعة قاريونس -ليبيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي تح: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م.
- الكتاب، سيبويه تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٨٩م.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي -القاهرة، طبعة سنة: ١٣١٨هـ.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، وزارة الأوقاف -المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، طبعة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة

الأولى-١٤٢٢ هـ.
- مختصر في قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم -دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل- تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب -بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
- المسند الصحيح المختصر، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن- تفسير البغوي، ، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- معاني الأبنية، د. فاضل السامرائي، بغداد، ط١.
- معاني القرآن للأخفش، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي -القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ -١٩٩٠م.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي و محمد علي النجار و عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة -مصر، الطبعة الأولى.
- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، عالم الكتب -بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨ م.
- معاني النحو، د. فاضل السامرائي، مطبعة الجامعة، ط١.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن

فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر -دمشق، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

- مفاتيح الغيب -التفسير الكبير، أبو عبد الله الرازي الملقب بفخر الدين الرازي دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة -١٤٢٠ هـ.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية-دمشق بيروت، الطبعة الأولى -١٤١٢ هـ.
- الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني دار الفكر -بيروت -لبنان، الطبعة: ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.
- النكت في تفسير كتاب سيبويه، يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري تحقيق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات ابن الأثير تحقيق: طاهر أحمد الزاوي -محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية -بيروت، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن السيوطي تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية- مصر.